

سورة البقرة (الجزء الثاني)

- مازلنا في هذه المحاولة التي تهدف لتيسير فهم وحدة موضوعات القرآن ...
- نستكمل سورة البقرة، وكنا قد أسلفنا أن هدف السورة ببساطة (أنت مسؤل عن الأرض ... أنت بصفة شخصية ... والأمة ككل) ورأينا كيف أن الله ينبهنا الى ما يساعدنا على تحقيق هذا الهدف (عبادة الله، الأخذ بأسباب العلم).
- ركز الجزء الأول على نماذج أقوام استخلفهم الله في الأرض ... منهم من نجح و منهم من فشل...
- نلاحظ أن الثلاثة تجارب التي وردت في الجزء الأول (قصة آدم، بني اسرائيل وقصة سيدنا ابراهيم) نلاحظ أن الثلاثة أختبروا في مدا اطاعتهم لأوامر الله :
- آدم :: هل تأكل من الشجرة أم لا تأكل ؟
- بني اسرائيل :: هل تطيعوا أوامر الله أم لا ؟
- سيدنا ابراهيم :: ابتلى الله سيدنا ابراهيم بالكثير من الأختبارات مثل قصة الذبح هل تطيع أم لا ؟

أما الجزء الثاني من السورة فيركز على الأوامر والنواهي (المنهج) لتكون مؤهلين لخلافة الأرض. بعدما سردت السورة تجارب الأمم السابقة مع طاعة الله نجد الجزء الأول من الربع الثاني من السورة عباره عن اختبار في الطاعة لأمة محمد ص وهي تجربة عملية لطاعة الله في أمره للرسول الكريم بتغيير اتجاه القبلة..قال تعالى :

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا

وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا

عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ)...*143*

أيضاً تغيير القبلة إشارة إلى تميز هذه الامة عن بقية الامم التي سبقتها حتى في اتجاه القبلة. هذا هو الربع الاول من الجزء الثاني من السورة... أطيعوا الله واعلموا أنكم متميزين كما أمركم الله بالتميز حتى في إختيار الكلمات التي تستعملوها كما ورد في الجزء الاول أنتم متميزين أيضاً في اتجاه القبلة... وهذه إشارة إلهية إلى ضرورة التميز وعدم تقليد الحضارات الاخرى تقليداً أعمى لأن الله وضح وبين لنا منهجنا في الحياة

(اهدنا الصراط المستقيم) الفاتحة*6*

لذلك جأت هذه الاية المحورية في الربع (وجعلناكم أمة وسطا لتكون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) ثم تنتقل الايات إلى اول آية في الربع الثاني

(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)...*158*

نزلت هذه الاية لان الصحابة كرهوا أن يطوفوا بين الصفا والمروة لأن الكفار كانوا يطوفون بينهما... فنزلت هذه الاية لتقول للصحابة أنه ليس كل ما يفعله المشركين منهي عنه ولتردهم إلى التوازن لا تقلدوا تقليد أعمى ولكن تأخذون ما يتوافق مع منهجكم. ثم نأتي لربع الثالث في الجزء الثاني ... والاية الكريمة

(لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) *177*

وهذه الاية تفصيلية وتشمل كل الاسلام.... ولكن لماذا؟ في البداية قال تعالى: يجب أن تطيعوا وتميزوا... فبعد أن أطاعوا قال لهم القضية ليست قضية إتجاه...

انما هي قضية إصلاح شامل، ثم يبدأ في سرد منهج الإصلاح...

كأن الربعين الاولين في الجزء الثاني هم تمهيد:

- في الربع الاول قال تعالى: أطيعوا الله وتعلموا ممن سبقكم قولاً وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وُجُوهكم شطره) *144*

- في الربع الثاني قال تعالى: **إنتبهوا إنكم متميزين عن من سبقكم ولا تقلدوا تقليداً اعمى... وفي وسط ذلك يأمرهم بالتوازن (فلا جناح عليه أن يطوف) *158***

- في الربع الثالث: بعد أن أطعتم وتميزتم فأعلموا أن الموضوع ليس موضوع إتجاه بل هو إصلاح شامل **(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب...)*177***

ولأن مراد الله إصلاح شامل تبدأ الآيات في سرد الاوامر والنواهي لهذه الامة (الإصلاح الشامل)...

- بدأ بالتشريع الجنائي: **(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم...)*179***

- التركات والوصية: **(كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين) الآية *180***

- تعبد وصيام: **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) الآية *183***

ولكن ما علاقة هذه المواضيع المختلفة: تشريع جنائي، تركات ووصايا... ثم تعبد وصوم...

هذا هو تفصيل الآية **(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب)** ولكن البر في كل مجالات الحياة... وفي كل مجال نجد الآية بعد أن تبين شرع الله تختتم بالتقوى. كان التقوى هي الغلاف الذي يغلف كل الأوامر والتشريعات الالهية ليقول لنا إنتبهوا: لن تستطيعوا تنفيذ هذه القوانين إلا لو كنتم اتقياء لله سبحانه وتعالى... لذلك أول آية في سورة البقرة...

(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) *1*

ثم تأتي الآيات:

(ولكن البر من آمن وأولئك هم المتقون) *177*

(كتب عليكم الصيام) لماذا؟ (لعلكم تتقون) *183*

(ولكم في القصاص حياة) لماذا؟ (لعلكم تتقون) *179*

كان التقوى هي الغلاف الذي يغلف الأوامر و النواهي ...

ثم تنتقل الآيات الى تشريع الجهاد و الأنفاق:

- **(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) *190***

- **(وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) *195***

ثم أتم آيات الجهاد و الأنفاق بالحج !!لماذا؟

لأن الحج تدريب عملي على الجهاد , فالحاج مسافر سريع التنقل من مكان الى اخر , بنفس الزي الموحد ونفس التوقيت تؤدي الجموع الغفيرة نفس الشعائر.

كذلك تشرح الآيات مناسك الحج ... نتذكر دعاء سيدنا ابراهيم في بداية السورة

(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرئتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم) *128*

كان هذه استجابة لدعوته عليه السلام.

أيضاً نلاحظ أن سورة البقرة هي السورة الوحيدة التي ذكرت بالتفصيل كل أركان الإسلام الخمس.

ثم تأتي آية محورية:

(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) *208*

و السلم هنا تعني الإسلام وشرائعه , أي أن الله يأمرنا بأن نأخذ الإسلام بكل شرائعه و أحكامه , كما قال تعالى في النصف الأول من السورة لبني اسرائيل

(افئتمون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) *85*

وفي هذه الآية يأمر الله أمة الإسلام بعدم تقليد بني اسرائيل ولا نعيد أخطائهم, وان نأخذ الإسلام ككل وذلك لأن الله بدأ يوضح معالم المنهج وهو منهج كبير و كثير.....

ثم تستكمل الآيات تفصيل المنهج و تتكلم عن أحكام الأسرة في ربيعين كاملين من أحكام الزواج, الطلاق, الرضاة و الخمر و الميسر.... و وردت التقوى بشكل واضح في أغلب الآيات.

- ثم تحكي السورة قصة طالوت و جالوت , وهي قصة قوم تخاذلوا عن نصره الدين ولم يجاهدوا في سبيل الله. كان مراد الله سبحانه وتعالى أن المنهج محتاج لقوم يحافظوا عليه و يدافعوا عنه.

- ثم انتقلت السورة الى أعظم آية في القرآن "آية الكرسي "

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) *255*

ولكن لماذا وضعت هذه الآية في هذا المكان ... لعل الله اراد ان يجعلنا نستشعر جلاله و عظمته ... لعلها تعيننا على حمل و تنفيذ المنهج فرغم انه منهج ثقيل الا أنه يستحق الجهد و العناء.
ثم تأتي هذه الآية الرقيقة

(لا إكراه في الدين)...

لماذا تأتي هذه الآية مباشرة بعد اية الكرسي؟ ... لعل الله اراد أن يقول لنا ألا نجبر أحد على الدين فـ
(الله لا الله الا هو الحي القيوم)

فمن لم يقرأ هذه الآية ويقدر عظمة الله و وضوح آياته في الكون فلا هادي له.....
ثم تستمر الآيات في سرد آيات عن عظمة الله في الكون كدلائل على آية الكرسي.
ومن هذه الآيات كيف يحيي الله ويميت
- فجاءت قصة سيدنا ابراهيم مع النمرود
- و قصة عزيز الذي دخل قرية فوجدها ميتة فلما نام واستيقظ وجدها احييت.

ثم تعود السورة في أواخر آياتها الى المنهج الالهي وبالتحديد المنهج الاقتصادي مثل الأنفاق و الربى :
وتبدأ بحملة شديدة على الربا:

(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ)*279*

وتكون آيات الربا في وسط آيات الأنفاق لان الله يمنع الربا ويبين للمسلمين البديل وهو الأنفاق.

ثم تأتي هذه الآية في خاتمة السورة بعد كل هذه التكاليف و الأوامر

(أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرَسُولُهُ

لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) ... *285*

(وقالوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا...)*285*

وقالوا ايضاً (غُفْرَانَكَ رَبَّنَا...)*285*

أي لوقصرنا بغير عمد في تطبيق المنهج فاغفر لنا هذا التقصير الغير متعمد.

ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

(لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ

عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَاتَّصِرْنَا

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)*286*

يال رحمة الله في ختام المنهج.

كأن موجز السورة

أنتم مسؤولون عن الأرض, منهجكم منهج شامل, ادخلوا في السلم كافة

و اطار المنهج هو طاعة الله, تميز, تقوه.

أما عناصر المنهج فكثيرة :

- تشريع جنائي
- موارد
- صيام
- حج
- أحكام الأسرة
- قتال
- انفاق
- لا للربا

ثم الخاتمة التي ذكرنا :

(أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ...)

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...)

نتمنى أن نكون وفقنا الى عرض بعض الرسائل الالهيه التي وردت في هذه السورة

مصدر المحاضرة:

عن موقع الأستاذ عمر خالد.... خواطر قرآنية

www.amrkhaled.net